نظرة الإصلاحيين للشعر في الجزائر

إن القول بمصطلح «النظرية» شيء صعب، لأن فيه من المجازفة ما يجعلنا ربما لا نرسو على حقيقة علمية نقدية دقيقة لما لهذا المصطلح من بعد وعمق.

ومن الأحسن أن نستبدله بـ«نظرة شعراء الإصلاح لمفهوم الشعر ودوره» بدلا من نظرية الشعر الإصلاحي، ومن ثم يبقى الجزء الأخير من الجملة «الشعر الإصلاحي» قائما. أما مصطلح النظرية فنستبدله بنظرة الإصلاحيين، ثم نحاول طرحه من خلال نظرتين مختلفتين في الرؤية ومتفقتين في الهدف هي:

١- نظرة الإصلاحيين المحافظين.

٢- نظرة الإصلاحيين المجددين.

د. عبدالرحمن تبرماسين - الجزائر

◁◁ نظرة الإصلاحيين المحافظين

هذا التيار يتفرع إلى فرعين:

الأول: يتزعمه الشيخ البشير الإبراهيمي وكل من يستند إلى النقد اللغوي، وهؤلاء ينظرون إلى الشعر بمنظار لغوي أي مقياسهم الجيد للشعر لكي يكون شعرا هو حسن اللغة والوزن.

الثاني: أنصار التراث الذين لا يخرجون عن الدائرة الأولى ومنهم بن باديس والأخضر السائحي ومثلهم في ذلك شوقي والمتنبي والبارودي.

يقول الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله: «الشعر العربي هو أصل ثروتنا الأدبية، وأصل بلاغتنا ومرجع

شعرائنا في اللغة والبلاغة العربية، والاستفادة منه أمر ضروري لحفظ هذا اللسان المبين. فكيف نبني دعوتنا إلى توسيع الشعر العربي بالتزهيد فيه»[1] وكلا الفرعين (أ) وَ (ب) مرتبطان بالدين الإسلامي وقيمه النبيلة.

التيار الثاني:

يمثله كل من رمضان حمود، والهادي السنوسي، والسعيد الزاهري، وهؤلاء تشبعوا بالثقافة العربية الإسلامية التي تلقوا مبادئها في قراهم، ووسعوا معارفهم بعد أن التحقوا بالمعاهد العليا ثم جامع الزيتونة، وهم برصيدهم التراثي يحسنون قراءة اللغة الفرنسية التي تلقوها في صغرهم، ومن خلالها تعرفوا على الثقافة الفرنسية ومبادئها التي تنادي بالحرية والأخوة والمساواة، وكان شعراء الثورة الفرنسية مضرب المثل لهم وخاصة رمضان حمود «لأنهم أذكوا نار الثورة بطريقة ذكية»[2]، وألهبوا الحماسة في نفوس الجماهير فأيقظوا الهمم الفاترة وألبوها على النظام الفاسد، فثارت ضد الظلم والاستبداد.

إن المحافظين المنطلقين من عنصر اللغة يرون فيها هويتهم وأصالتهم وشخصيتهم ودينهم. لأنها لغة القرآن، ومن ثم فهي مقدسة عندهم إلى أبعد مدى. ولأن اللغة الفرنسية أخذت في التسرب لدى الأوساط العامة وخاصة الفئة التي تمدرست في المدارس الفرنسية برغم قلتها مقارنة مع مجموع السكان، ولذا فالنظرة إلى اللغة الفرنسية كانت نظرة عداء وبقيت إلى يومنا، ولا يستطيع أحد أن ينكر الصراع القائم بين ما يسمى بالمفرنس والمعرب في الجزائر.

وربما كانت نظرة الإبراهيمي من هذا المنطلق، أي الصراع بين اللغة العربية والفرنسية، ولأجل البقاء والحفاظ على كيان الأمة وشخصيتها كان التركيز على العنصر اللغوي، والإبراهيمي لا يدرس الشعر ولا ينظر إليه إلا من «زاويته اللغوية»،[3]، ويقومه بناء على صوره البيانية وفصاحته، ومدى تعلق هذا الشعر وصلته بالأدب القديم أي بالتراث، فكان عبد الحميد الكاتب وابن العميد والجاحظ والحريري وأبو تمام خير من يمثل التراث، ومن يقتدي بهم وأنصار التراث لا ينظرون إلى قيمة الشعر والأدب عموما إلا من خلال زاوية هؤلاء إعجابا بالأدباء المبدعين، وهؤلاء لا يخرجون في تعريفهم للشعر عمن سبقوهم من النقاد القدماء وفي طليعتهم قدامة ابن جعفر.

البشير الإبراهيمي

أحمد الأكحل

وهذا أحمد الأكحل يحاول تعريف الشعر فيقول عنه:«الكلام الموزون، المقفى، السهل العبارات، ذو الخيال البديع والاستعارات البليغة الفائقة، والمعاني الرقيقة الشائعة دون الغريبة، لأن البلاغة ما فهمته الخاصة والعامة»[4].

لقد كان إعجاب هؤلاء بمدرسة الإحياء إعجابا شديدا فشوقي وحافظ إبراهيم هما النموذج الأمثل لهم جميعا «لأن شعرهم يعالج في مضامينه واقعهم، ويلمس أذواقهم، ويثير مشاعر العروبة والإسلام

فيهم»[٥]، وهذا الإعجاب الكبير البالغ درجة النموذج والمثال هو الذي أثار حفيظة الشاعر مفدي زكرياء فصرح قائلا:

ليس الشمال بمثل شوقي عاجزا
لو أن في بعض النفوس سخاء
إن الجزائر كالكنانة حرة
تلد الرجال وتنجب العظماء[٦]

والمتتبع للحركة الإصلاحية ونشطائها من الشعراء والأدباء وخاصة المحافظين منهم نجدهم لم يولوا أهمية لماهية الشعر، ولم يكلفوا أنفسهم عناء البحث لينظروا له لأن مهمتهم ليست التنظير بقدر ما كانت مهمة إحيائية وإصلاحية لأوضاع اجتماعية وثقافية ودينية كادت أن تزول أسسها بفعل التدمير الذي أحدثه الاستعمار الفرنسي وما أحدثه من تخريب في البنيات الأساسية التي يرتكز عليها المجتمع وفي طليعتها الدين والثقافة. لذا فهم لم «يقفوا وقفات طويلة في تحديد ماهية الشعر وتعريفه بقدر ما أولوا أهمية كبيرة لوظيفة الشعر ودوره ومكانته في الحياة والمجتمع، وكذلك مهمة الشاعر ورسالته في التوجيه»[٧].

مفدي زكريا

رمضان حمود

أما المجددون فيتزعمهم وبلا منازع رمضان حمود بن سليمان، ونظرته لا تخرج عن نطاق المحافظين الإصلاحيين إلا فيما يخص قوانين الشعر وهو القائل: «الشعر تيار كهربائي مركزه الروح، وخيال لطيف تقذفه النفس، لا دخل للوزن ولا للقافية في ماهيته، وغاية أمرهما أنهما تحسينات لفظية اقتضاها الذوق والجمال في التركيب لا في المعنى كالماء لا يزيده الإناء الجميل عذوبة ولا ملوحة، وإنما حفظا وصيانة من التلاشي والسيلان»[٨].

وقد حكم على الذين يظنون بأن الكلام الموزون والمنمق هو الشعر بأنه «ظن فاسد واعتقاد فارغ وحكم بارد»[٩]. وماهية الشعر عنده هي الروح والخيال وليس شيئا آخر، وربما تحول النثر ليصبح شعرا، و«قد يتفوق في إيصال التجربة على بعض القصائد العمودية التي ليس لها من عناصر الشعر غير الوزن والقافية»[١٠].

ويلتقي رمضان حمود مع نزار قباني في قضية الشكل والوزن في قصيدة النثر، ويختلفان في نقطة هامة، فرمضان حمود يتكئ على الدين ويتخذ القرآن عاملا أساسيا ومساعدا في الاستدلال بإمكانية القصيدة النثرية ونجاح تجربتها لما قالت العرب عن القرآن: «إنه شعر» وهي لا تعرف بحور الشعر، وأنه لا أثر فيه للوزن، وأن العرب لما كانت تنشد الشعر كانت تحاكي أوزانا «تلقتها عن الطبيعة المترنمة وكانت صالحة لاحتواء ما يختلج في صدورهم النقية»[١١].

أما نزار قباني فقد ادعى أن سورة مريم هي قصيدة شعرية[١٢] لأن الله أول ما تكلم، تكلم بالشعر كما يقول. وقد يحمل كلام نزار على المجاز لا على الحقيقة من قبل بعض الأدباء والنقاد المتمرسين،

وفي ذات الوقت قد ينظر إليه غيرهم من زاوية غير هذه فيرمى بالجنون أو الإلحاد مرة واحدة.

أما قضية اللغة فله رأي فيها، فلا يسمى الشاعر شاعرا عنده «إلا إذا خاطب الناس باللغة التي يفهمونا بحيث تنزل على قلوبهم نزول ندى الصباح على الزهرة الباسمة».

ويضيف قائلا: «يجب على الشعراء الكبار أن يتنازلوا إلى مخاطبة الطبقة الوسطى والسفلى من الأمة أي العامة التي هي هيكل الشعوب ومرجعها الوحيد عند المدلهمَّات، ويقتدوا – بقطع النظر عن اختلاف الأديان- بشعراء فرنسا وأدبائها في إبان انفجار بركان الثورة الكبرى»[١٣] أي تحريض أبناء الأمة على طلب المساواة والحرية، وإثارة وجدانهم وتحريك ضمائرهم للقيام بالعمل المنتظر منهم وهو تحرير الوطن والإنسان من الاستعمار.

وهو في هذا ليس بغافل عن قضية الصدق الفني، فالشعر عنده «إلهام وجداني ووحي الضمير»[١٤]، ولكي يكون خالدا لابد «أن يصدر عن نفس حساسة في نفحاتها»[١٥]، وأن يكون من النوع الذي يتسرب إلى «أعماق النفوس المثيرة الحية»[١٦].

هذه بعض القضايا التي تعرض لها رمضان حمود في كتابه«بذور الحياة» والتي اعتمد عليها كل من الدكتور محمد ناصر والدكتور صالح الخرفي في دراساتهما المتعلقة برمضان حمود وبالشعر الجزائري عموما.

أما وظيفة الشعر فيتفق فيها الإصلاحيون جميعا ولا خلاف بينها، فلابد للشاعر أن يكون «روح شعبه» ومدركا لرسالته الحضارية لأنه مستخلف، والمستخلف في الأرض من حقه الرئاسة، وكيف يترأس أو يتملك من لا يملك حرية نفسه ولا يتمكن من «النطق بالحقيقة العميقة الشاعر بها القلب»[١٧] الحقيقة التي يشعر بها الشاعر قبل غيره. فالشعراء الفنانون هم رسل الشعوب بعد الأنبياء «فالشاعر الصادق قريب من الوحي»[١٨] على حد قول رمضان حمود. أو كما قال الشاعر محمد بن دويدة:

محمد دويدة

كم كهرب الشعر مغلوبا على وطن

فجرد السيف يتلو آية الغلب[١٩]

إن رسالة الشاعر تكمن في التوجيه والتوعية، والدفاع عن الشرف، والتغني بالأمجاد، والنظر إلى حال شعوبهم وواقعها بمنظار نقدي فعال. فالهادي السنوسي عندما هم بجمع ديوان الشعر الجزائري أخرج منه مواضيع الرثاء والمديح والهجاء «لما بينها وبين الحقيقة اليوم من التباس، لما في المديح من التنازل عن الكرامة، وفي الهجاء من البذاءة، وفي الرثاء من التعداد الذي قلما يصدق فيه قائله. والجميع في الأكثر لا يفيدنا معنى اجتماعيا ولا غيره وعلى الأخص في

بيئتنا»[٢٠] لأن هذا الفعل في حد ذاته توجيه للشاعر وللشعر لخدمة الوطن والاهتمام بقضاياه الملحة وتجسيدا للنحن بدلا من الأنا، وبذلك يكون «الشعر سلاحا من أسلحة الفكر الإصلاحي، الأمر الذي يجعل منه أداة لنشر المعاني الإصلاحية، فنشأ ما أطلقنا عليه «شعر الدعوة» دعوة إلى النهوض، إلى العلم، إلى اليقظة، وأخيرا دعوة إلى رفض الفكر الغيبي»[٢١] ورد الاعتبار للقيم الدينية السمحة.

زهير الزاهري

نماذج من إبداعات شعراء الإصلاح:

لا يمكننا الادعاء أن الشعر الجزائري الحديث هو النموذج الإصلاحي في الشعر الإسلامي الناطق بالعربية، إلا أن هذا الشعر قد غطى جميع الأغراض، والتزم الخط الإصلاحي الذي تمليه العقيدة الإسلامية. وهو التقيد بالقرآن والسنة وأخلاق الرسول ﷺ، ومن ثم الالتزام في كل قول. فأي كلام مبدع لابد أن يكون معياره الأخلاقي «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها».

فالنظرية الأدبية والشعرية إذا تنبثق من التعاليم الإسلامية المتوارثة المتمثلة في مختلف القيم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية القائمة على المنهاج الإرشادي.

شعر الغزل:

ولذلك فالشعر الغزلي يكاد ينعدم لدى شعراء الإصلاح إلا ما ورد عن قلة قليلة، وهو نوع من دغدغة الخواطر والعواطف لا أكثر، وأحيانا يسمو إلى القضايا السياسية وكأني به يتحول إلى التغزل بالأرض «القضية الأم». فالشيخ زهير الزاهري الذي قمنا بجمع بعض قصائده المتناثرة هنا وهناك، لم نعثر له إلا على قصيدة واحدة قالها وهو شيخ كبير، وكانت عبارة عن فاكهة يقصد بها التندر وإكرام صاحبه أكثر مما هي غزلية، وربما كانت عاطفة الشاعر – لا نقول مقيدة- لاتتعدى حدودها الشرعية والمتمثلة في الحديث النبوي الشريف «النظرة الأولى لك والثانية عليك»، أو أن هذه القصيدة هي تكريم لصاحبة المقام أكثر من ارتقائها إلى درجة الغزل أو التغزل، أو أن هذه القصيدة ما هي إلا ذكرى لمصادفة وجه مليح وقلب طيب خلوق، وتلاقي أرواح.يقول:

يا بنت بسكرة النخيل
وقد زكت شمسا وتمرا
عجز اللسان وإن في
بحر الهوى مدا وجزرا
قد قوستني الحادثات
وكنت في الأجواء صقرا
رفض الركوع أو الخضو
ع، حياته- عزا وكبرا[٢٢]

قد يقول قائل: إن هذا نوع من الزهد أو التسامي! وأنا أقول: إنه نوع من التربية المكتسبة من الدين والبيئة التي تمجد الدين، كي لا أقول: المحافظة، لأن لفظة المحافظة قد تجرنا إلى نوع من التطرف، وهذا ما نستشفه من هذه الأبيات لابن رحمون:

وأنا كمثلك أحسن التشبيب لـ
كني نبذت سفاسف الخلعاء

فتركت ذاك لمعشر قد أولعوا
وتشبثوا بمطارف الأهواء
زعموا السعادة في فتاة موهت
ومطارف قشب وفي الصهباء[٢٣]

ويقول أيضا في قصيدة «حنين العفة»:

أهوى الجمال وتُصْبيني مناظره
مالم تدنسه كف الآثم الجاني
إني امرؤ صاغني الرحمان من صغري
أقدس الحسن في سري وإعلاني
لولا الجمال الذي بالوجد كهربني
ماكنت أفنيت في التغريد ريعاني
لكن لي همة لم ترض لي بهوى
يجر لي ندما أو وخز وجدان
والناس إن كان لفظ الحب يشملهم
فهم بحكم الهوى العذري ضربان
هذا هواه ميول الجسم تدفعه
وذا شريف شريف القصد روحاني

شعر الرثاء

عبدالحميد بن باديس

إذا كان هذا الموضوع قد استبعده الهادي السنوسي من كتابه «شعراء الجزائر في العصر الحاضر» مبررا موقفه بتعداد المناقب التي قلما يصدق فيها قائلها، فإن شعراء الإصلاح لم يبعدوه وإنما عرفوا من يرثون، ليس الأقارب وذوي الرحم، إنما رثوا إخوة الروح من العلماء والمصلحين مثل: محمد بن أبي شنب، وحافظ إبراهيم، وأحمد شوقي، والأمير خالد، والإمام محمد عبده، وشكيب أرسلان، وجمال الدين الأفغاني، وعبد الحميد بن باديس لأن هؤلاء وأمثالهم يمثلون الأسس والأعمدة التي ترفع الحضارات، يرثون فيها القيم والمبادئ التي يحملونها وعاشوا من أجلها.

وهذا ابن رحمون يرثي ثلاثة من شهداء المغرب الإسلامي الذين لقوا حتفهم بعد سقوط الطائرة التي تقلهم سنة١٩٤٩ وهم الدكتور: لحبيب ثامر، ومحمد بن عبود، وعلي الحمامي، يقول:

شهداءَ الحق مُتُمّم ميتةً
يتمناها الملوك العظما
أودع الرحمان فيها آية
من معاني المجد تغذو الهمما
وعلى الدنيا تراءت فلكا
من مساعيكم يباهي الأنجما[٢٤]

أما عبد الحميد بن باديس فقد رثاه أكثر من شاعر لما له من مكانة علمية وأدبية ودينية في الأوساط العامة والخاصة، وفقدانه يعد خسارة للعالم الإسلامي أجمع. ويقول زهير الزاهري في قصيدته: «إلى روح بن باديس»

سائل التاريخ عن عبد الحميد
بن باديس أو الشيخ الفقيد
يوجب التاريخ أنا أمة
تنشئ الأبطال من عهد بعيد
إن أعلام العلا من نسجنا
وعلى هامتنا خفق البنود
وهلال النور منا يرتوي
بدماء من جريح أو شهيد
هذا زمان للبطولات التي
خلدت بالوحي في الذكر المجيد[٢٥]

محاربة الطرقية:

لما حل الاستعمار ببلاد الجزائر، قام بدراسة للمجتمع من جميع زواياه وتعرف على الذهنيات السائدة، وأدرك أنها تنجذب إلى الغيبيات وتنقاد إلى المشايخ، وتعلن خضوعها وولاءها له، فشجع هذا الجانب بعد أن طعمه بما يخدم مصلحته، فتعلق أفراد الشعب بالأشياخ، وقدسوا الأولياء لجهلهم وسذاجتهم «ووقفوا المدح على قداساتهم وكراماتهم بعد أن كان في مدح الرسول ﷺ.

وكان الانحطاط الفكري قد عراهم من كل أصالة في التفقه(...) وأصبحت العلاقة بين الشيخ والأتباع شبه تعبدية لا مجال فيها لإعمال العقل»[٢٦]. واستغل المستعمر هذه الفرصة ودخل الحصن بمساعدة من هم بداخله، وتمكن من الإسلام باسم رعايته ورعاية الأولياء والمناسبات الدينية، وسار السذج والجهلة بأمر دينهم في هذا الطريق ظنا منهم بأنهم يخدمون دينهم، وإذا بهم ينحرفون عن جادة منهجه، فقيض الله من ينصر دينه بالكلمة الطيبة الفصيحة، خطابة ونثرا وشعرا وتوجيها، بل ومقاومة في كثير من الأحيان على كافة الأصعدة، وسنذكر أمثلة لذلك.

ووصل الحد بالطرقيين المزيفين إلى استعمال العنف السياسي لإيقاف الصحف كالبرق[٢٧]، والجسدي كالتعدي على الإمام بن باديس قصد التخلص منه نهائيا وقتله حتى يصفو لهم الجو الوثني.

لقد ظن عامة الناس -والسذج خصوصا- أن الشيخ هو بمثابة الرب «يعطي ويمنع، يقبض ويبسط، هو منبع كل خير، ومصدر كل شر. وتفشت إثر ذلك بدع وأباطيل شوهت وجه الإسلام وسودت وجه البشرية»[٢٨].

وقد اعترف العديد من الأدباء الذين أنقذهم المعهد الباديسي بعد الدراسة فيه بأنهم كانوا ضحية هؤلاء المدمرين لدينهم المفسدين لعقيدتهم الناشرين لوثنية ما أنزل الله بها من سلطان.

محمد الهادي السنوسي

يقول الجنيدي أحمد مكي: «كم قضيت من الليالي الطوال في سرد أخبار وكرامات من نعتقد فيهم الصلاح!(...)أما عن زياراتي للأضرحة وتقبيلها والتوسل بأحجارها وما على توابيتها من الرياش وترابها لا تسأل»[٢٩].

وقال محمد الهادي السنوسي عن نفسه: «كنت قبل صحبتي لهذا الأستاذ الإمام-(يقصد بن باديس)- ولوعا بأباطيل الخرافيين من الطرقيين، راسخ اليقين في الإيمان بطواغيت الدجالين، ولقد أصبحت والحمد لله حر الضمير والعقيدة والفكر، راسخ اليقين في أن الإسلام هو ما جاء به محمد ﷺ، لا التصوف وما يدعيه الصوفيون»[٣٠].

ولما عاد الشيخ الطيب العقبي من أرض الحجاز، وقف للطرقية والطرقيين بالمرصاد، وسد عليها كل المنافذ، وحاربها بكل ما أوتي من بيان وفصاحة، شعرا ونثرا. واستطاع أن يبرز كالشعلة في الليلة الظلماء فاهتدى به أولو الألباب، لما يملك من قوة الإقناع، ومن حجج دامغة، وبرهان مستمد

من الذكر الحكيم والسنة النبوية الشريفة. وبذلك استطاع وإخوانه في الحركة الإصلاحية إنقاذ المجتمع وإعادة الفاعلية له، وأذكوا في الشباب روح الوطنية المبنية على الإسلام والعربية.

واللافت للانتباه أن الطيب العقبي كان عنيفا في بداية مشواره حين أعلن الحرب على الطرقيين ولم يهادنهم أبدا وأشعاره تعكس ذلك بقوة. وهاهو يفتخر بمحمد السعيد الزاهري أحد الفرسان الذين أعلنوا الحرب على الطرقيين فيقول:

يسائلني أهل الغواية من فتى
أغار عليهم عامدا في مقالتهْ
ومزقهم في الناس شر ممزق
وصيرهم أضحوكة بكتابته
فقلت لهم يا قوم لو تعرفونه
عرفتم فتى يشتد عند إرادته[٣١]

إن هذا المدح وهذا الوصف الكامل للزاهري هو دعامة وسند له في محاربته للدجل والزور والبهتان وكل الآفات المتعلقة بالخرافة والأباطيل التي أنيطت بالدين، أو حيكت له عن جهل، أو بدعم من السلطات الإستعمارية.

ولم يتوان الطيب العقبي أو يتقاعس لحظة واحدة في كشف هؤلاء الدجالين، ووصفهم بالكفر والمارقين والشياطين، وبأنهم رؤوس الضلال، وأن سلوكاتهم باطلة ومزيفة:

أئمة كفر مذ قديم بأرضنا
ومثلهم من بالهداية يكفر
شياطين إنس خادعون بإفكهم
رؤوس ضلال للزهادة أظهروا
يقولون هم أهل السلوك بطُرْقهم
وما هم عليه باطل ومتبر
وكم فعلوا الفحشاء سرا وجهرة
وعنهم قبيح القول يروى ويؤثر
فراعنة ما بيننا قد تألهوا
وقد هودوا الأتباع منا ونصّروا
وكم فرقوا الاسلام بين اجتماعه
ولكنهم في غيهم قد تجمهروا
وكم تركوا الطاعات وارتكبوا الخنا
وقالوا لمن ينهاهم الله يغفر[٣٢]

في هذا النص يكشف الشاعر درجة الانحطاط الخلقي والانحراف الفكري ونشر العقائد المخالفة للدين، بل وتزييفه من قبل الطرقيين، وأصبح الناس «يعتقدون في شيوخ المرابطين على أنهم واسطة تقربهم إلى الله، وصاروا لا يصلون ولا يخشعون إلا بين أيدي من يتبركون بهم، ويشحون في إخراج الزكاة ويتسابقون إلى الوفاء بما ينذرون للمزارات والمقامات، ويصومون رمضان لا على أساس الحجة الشرعية في ثبوته وانقضائه ولكن على أساس رؤسائهم الروحيين من المرابطين والطرقيين»[٣٣].

الشيخ الطيب العقبي

ومكث العقبي سنوات عديدة يجادلهم ويذكرهم بالآيات القرآنية وبمختلف الحجج الدامغة المستندة على القرآن والسنة وإن عجزوا في الرد فإن الشيخ قد أفلح في إيقاظ الوعي لدى الشباب وخاصة المتعلم واستطاع أن يؤثر في الكثير من الأباطيل وأن يكون له أنصار بفضل استقامته وتدينه ووضوح أسلوبه، وهو القائل:

وجادلتهم بالواضحات مبينا
طريق الهدى وما به الدين يأمر
وقد عجزوا إذ لا دليل لديهم
وليس لهم في موقف الصدق مخبر
فقلت هلموا واسمعوا لمقالتي
ومن سنة المختار لا تتنكروا
خذوا من كتاب الله أبلغ حجة
وقول رسول الله دين محرر

إن الشعر هنا لم يعد ذلك المعبر عن مكنونات الذات أو عن تفريغ شحناتها المكتنزة أو المكبوتة. وإنما أصبحت له وظيفة ليست إبلاغية أو بلاغية فقط، إنما هي توجيهية إرشادية، بل تأطيرية وتربوية، ولذلك فهو «سلاح من أسلحة الفكر الإصلاحي؛ الأمر الذي جعل منه أداة لنشر المعاني الإصلاحية فنشأ ما أطلقنا عليه شعر الدعوة، دعوة إلى النهوض، إلى العلم، إلى اليقظة، وأخيرا دعوة إلى رفض الفكر الغيبي الذي لاسند له من الكتاب والسنة»[٣٤]■

الهوامش:

(١) الشهاب، ج٢، م٦، مارس١٩٣٠، ص١٢٦.
(٢) محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، ط١، ١٩٨٥، دار الغرب الإسلامي، ص٧٢.
(٣) م نفسه، ص٤٦.
(٤) أحمد الكحل، ما هو الشعر، جريدة النجاح، ع٨٢٨، ٢٠مارس ١٩٢٩.
(٥) محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، ص٦١.
(٦) ينظر المرجع السابق، ص٥٩. قصيدة ألقاها في المؤتمر الخامس لطلبة الشمال الإفريقي المنعقد بتلمسان في سبتمبر ١٩٣٥، ونشرت بجريدة الأمة، ع٤٣، (١٩٣٥/٩/٢٤).
(٧) ينظر المرجع السابق، ص٦٨.
(٨) د.صالح خرفي، رمضان حمود. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٥م، ص١٠١.
(٩) نفسه، ص٩٧.
(١٠) محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ط٢، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٥م، ص٩٧.
(١١) نفسه، ص٢٠.
(١٢) ينظر: نزار قباني، الشعر قنديل أخضر، منشورات نزار قباني، ص٦٣.
(١٣) د.صالح خرفي، رمضان حمود، ص١١٧و١١٨.
(١٤) محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص٦٧
(١٥) نفسه، ص٦٧.
(١٦) نفسه، ص١٧
(١٧) نفسه، ص٦٥.
(١٨) نفسه، ص ٦٥.
(١٩) محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج٢ ، ١٣٤٥هـ ١٩٢٦م، المطبعة التونسية، ص١٤٤.
(٢٠) نفسه، ج١، ص١٠.
(٢١) عن الدكتور كمل عجالي، الطيب العقبي أديبا، مخطوط أطروحة دكتوراه دولة، جامعة باتنة ١٩٩٧/١٩٩٨م، ص١٤٢.
(٢٢) نسخة التواتي بن المبارك (مدير مدرسة متقاعد).
(٢٣) ابن رحمون.الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٠م، ص١٣٧.
(٢٤) نفسه، ص٦٦.
(٢٥) نسخة التواتي بن المبارك، مخطوطة بالآلة الراقنة.
(٢٦) د.صالح خرفي، شعر المقاومة الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص١١٧.
(٢٧) ينظر الدكتور محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، من١٨٤٧ إلى ١٩٣٩م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص٨٥ .
(٢٨) ينظر د.صالح خرفي. شعر المقاومة الجزائرية.ص١١٨
(٢٩) محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، الجزء الأول، ص٩٩.
(٣٠) نفسه ص١٨٦.
(٣١) البرق، عدد٥، ٤ أفريل١٩٢٧م.
(٣٢) البرق، ع١٢، ١٩٢٧/٥/٢٣ م.
(٣٣) بوالصفصاف عبد الكريم.. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية. ط١.دار البعث. قسنطينة ١٩٨٠م، الجزائر .
(٣٤) الدكتور. عبد الله الركيبي.الشعر الديني الجزائري الحديث.ط١. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ١٩٨٢م، ص٥٧٢و٥٧٣.